مَنشورَات مَعهَد الليتورجيّا في جَامعَة الرّوح القُدُس

سِرُّ الإفخارستيّا وَالقُدّاسِ

الإفخارستيّا في الطقس البيزنطي

الأسقف يوحنا يازجي
أسقف الحصن – سوريا
عميد كليّة اللاهوت – جامعة البلمند

الكسليك – لبنان
٢٠٠٤

التقديم

أيها الأعزّاء،

يطلّ علينا الحبر الجليل، سيادة المطران يوحنا يازجي، راعي أسقفية الحصن في وادي النصارى في سوريا، في أبرشية عكار، وعميد معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي في جامعة البلمند، يطلّ بوقاره العذب، وبانحناءته الخاشعة، وبهدوئه اللطيف، كالآباء الذين تعبق حياتهم بعطر المسيح، فيحرك فينا روح البساطة، والوداعة، والتواضع، والهمّ الروحاني، ويجعلنا نَنْشُدُ، في إثره، المعرفةَ والعلمَ والثقافة، ويحثّنا بمثله وقدوته على الالتزام بتعاليم الرب، وعلى الثبات في محبته، وعلى روح التقوى والعبادة والصلاة. لا عجب في ذلك، فصاحب السيادة هو معلّمٌ، وهو ليتورجي، وهو أبٌ روحي:

- على الصعيد العلمي، يدرّس في معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي مادةَ الليتورجيا؛ له مؤلفات ودراسات وترجمات عدة، في الأسرار المقدسة، والآباء، والليتورجيا، وغيرها؛
- على الصعيد الليتورجي، وبالإضافة إلى تعليم المادة، هو ليتورجي بامتياز، منحًى، وممارسةً وتأليفًا؛
- وعلى الصعيد الروحي، هو أبٌ روحي رسميًا لدير راهبات السيدة — بلمانا في أبرشية اللاذقية، وعمليًا وبطريقة غير مباشرة لكثيرين منّا ومن عارفيه.

هذا الرجل، إنْ سألتَه لا يبخل، وإن اقترحتَ عليه قَبِلَ وحاور، وإن دعوتَه لبّى؛ كلّ ما يفيد لبنيان الكنيسة يسارع إلى إنجاحه، وكل ما يقرّب بين أبناء الكنائس هو همٌّ عنده، وكل ما يفرّح قلب الرب والإنسان هو عاملٌ له. وأذكّر أن

سيادتَه كان مندوبًا مراقبًا عن الكنيسة الأرثوذكسية الأنطاكية في الدورة الأولى للمجمع البطريركي الماروني.

صاحبُ السيادة متجذّرٌ في الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية، تاريخًا، وعقيدةً، وليتورجيا، وروحانيةً، وموسيقى، لذلك نحن ممتنُّون له إسهامَه هذا المساء بمحاضرة حول **الإفخارستيا والقداس في الطقس البيزنطي**، وذلك ضمن سلسلة محاضرات معهد الليتورجيا لهذا العام حول **سر الإفخارستيا**.

صاحب السيادة،

أرحّب بكم وبصحبكم الكرام في معهد الليتورجيا الذي حاضرتم فيه سابقًا عن **سر التوبة في الطقس البيزنطي الأرثوذكسي**، والذي تكرّمتم العام الماضي وأعطيتم طلابَه درسًا عن **المسيح في قلب الليتورجيا البيزنطية**. وأودّ هنا أن أنوّه بدعوتكم قدس الأباتي يوحنا تابت لإعطاء دروس عن **الليتورجيا المارونية** في جامعة البلمند في العامَين الفائتَين، وبتسهيلكم نقل بعض الأيقونات البيزنطية الثمينة من جامعتكم لعرضها في دير القديسَين بطرس وبولس في العذرا.

أورد هذه الأمور لأقول لكم إن أواصر المحبة التي تجمعنا قولاً وفعلاً ستملأنا فرحًا وخيرًا وسلامًا وشكرًا للرب لا ينقطع. الشكر لكم، يا صاحب السيادة. وأمدَّ الله بعمركم، وشكرًا.

الأب أيّوب شهوان

مدير معهد الليتورجيّا

ليتورجيّة القدّيس باسيليوس الكبير في الشّكل الليتورجي البيزنطي

المقدمة

لا بدّ في المقدمة من التنويه إلى معاني الإفخارستيا وكذلك إلى نشأة طقس خاص لإتمام هذه الإفخارستيا. وقد أخذ هذا الطقس أشكالاً متعدّدة وعرف ألواناً محليّة.

أولاً – معاني الإفخارستيا

١– سر الشكر (الإفخارستيا) هو مائدة الرب التي يُقدِّم فيها المسيح لنا نفسَه مأكلاً ومشرباً حقيقيين في ذبيحة غير دموية، إذ هي استمرارٌ لضحية الصليب عينها، التي قدّم فيها الكاهن الأعظم نفسه حملاً، مرة واحدة، بدمه الكريم من أجل خلاص العالم ومحا صكّ خطاياه.

٢– مناولة القرابين الإلهية هي اشتراك في جسد الرب ودمه، فإنّ الخبز والخمر يُصبحان باستدعاء الروح القدس وحلوله غير المنظور جسد المسيح الطاهر نفسه ودمه الكريم عينه: «كأس البركة التي نُباركها أليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح» (١كور ١٠:١٦).

٣– الإجتماع الليتورجي–الإفخارستي هو التعبير الأوضح عن سر الكنيسة، جسد المسيح. فالكنيسة هي التي تُقيم الإفخارستيا، والإفخارستيا هي التي تُشكِّل الكنيسة وتُوحِّد أعضاءها وتُغذّيهم بالحياة، لهذا فسرُّ الشكر هو سرُّ الجماعة ووحدتها وترابطها، «فإنّنا نحن الكثيرين خبزٌ واحد وجسدٌ واحد لأنّا جميعًا نشترك في الخبز الواحد» (١كور١٠:١٧)؛ «وأمّا نحن المشتركين في الخبز الواحد والكأس

الواحدة فاجعلنا جميعًا متّحدين بعضُنا ببعض في شركة روحٍ قدسٍ واحد» (قدّاس باسيليوس الكبير).

٤- يتمُّ بالمناولة حقيقةً إتحاد الإنسان بالمسيح والثبات فيه: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو ٦:٥٦). والإتحاد بالمسيح والثبات فيه هو الذي يمنح الإنسان الحياة الأبدية: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦:٥٤)، ويجعله شريك الطبيعة الإلهيّة «به (بالمسيح) وُهِبت لنا المواعيد العظيمة الثمينة لكي تصيروا شركاء الطبيعة الإلهيّة» (٢ بط١:٤).

١- خدمة القداس الإلهي (طقس الإفخارستيا)

الطقوس هي الصلوات التي تقيمها الكنيسة، بما فيها من قراءات وتراتيل وحركات وملابس ورموز، الخ، في العبادة الإلهية لتسبيح الله وتقديس المؤمنين إن في الخِدَم اليومية أو الأسبوعية أو الأسرار وكذلك في الأعياد على مدار السنة، الخ.

وكان من الطبيعي أن يأخذ إتمام الإفخارستيا شكلاً معينًا أي طقسًا خاصًا بذلك. فقد مارس الرسل منذ البدء إقامة سر الشكر أي الإفخارستيا وعمّ هذا الاستعمال العالم المسيحي. وأتى الطقس متطابقًا مع معاني الخدمة الحاصلة، فقد تميّزت الطقوس بأنها تحمل في طيّاتها، عبر النصوص المستخدمة والألحان والملابس الكهنوتية والرموز والحركات الحاصلة، الخ، المعاني الأسرارية واللاهوتية للسرّ المتمّم. فالمعمودية التي هي ولادة بالروح واشتراك في موت المسيح وقيامته عرف طقسها التغطيس الثلاثي على سبيل المثال للإعراب عن ذلك. وكذلك فإن الإفخارستيا كونها مائدة الرب وذبيحة غير دموية، فنرى طقسها قد عرف تقديم القرابين وتقديسها والمناولة أي الاشتراك في هذه المائدة.

٢- أشكال خدمة القداس الإلهي (العائلات الليتورجية)

من المسلّم به اليوم عند العلماء أنّ الرسل القديسين لم يرسموا للمسيحية طقسًا معيّنًا. فكان ثمّة شيء من الحرية في إقامة الطقوس في العصور المسيحية الأولى. لكن

مع الزمن تسرّب إلى العواصم المسيحية الكبرى شيء من التوحيد في إقامة الطقوس. وامتدّت حركة التوحيد هذه من العواصم إلى المناطق المجاورة. وبهذا يصحّ القول بأنّ الطقوس الكنسية لم تتطوّر من الوحدة إلى التنوّع، بل من التنوّع إلى شيء من الوحدة. فلم تعرف الكنيسة منذ نشأتها طقسًا واحدًا تفرّعت منه على توالي العصور طقوس متنوعة، بل إن الطقوس المحلية المتنوّعة مالت إلى التقارب فالتوحّد شيئًا فشيئًا. وهذا لا ينفي وجود بعض التشابه، في الأساس، بين الطقوس الكنسية القديمة. فالوثائق القديمة تؤكّد وجود طقوس كنسية متشابهة منذ القرن الرابع الميلادي ومتجمّعة حول طقس أساسي واحد كان لها بمثابة الجذع للفروع.

إنّ ما يسمّى «العائلات الليتورجية» هو مجموع الأشكال المختلفة للعبادة الإلهية، التي ظهرت ونمت في أماكن متفرّقة آخذة عناصر خاصّة بها. وكان كلّ شكل يتميز عن سائر الأشكال بخصائص وصفات معيّنة من جهة، ويشابهها ببعض الأمور من جهة ثانية. وكان التقارب والتشابه بين الأشكال يتفاوتان كمًّا ونوعًا، من شكل إلى آخر وتبعًا لنوعية التأثير المتبادل وظروفه.

إنّ تقسيم هذه الأشكال هو تقسيم جغرافي، دون أن يمنع ذلك، وخاصة في العصور اللاحقة، وجود شكلين ليتورجيين في منطقة واحدة. وهذا التقسيم لا يعتمد على اللغة أو المفهوم العقائدي، فهكذا نجد في اللغة اليونانية نصوصًا ليتورجية تنتمي إلى العائلة الإسكندرية، وأخرى تنتمي إلى أنطاكية، وكذلك في اللغة اللاتينية أشكالاً رومانية وأمبروسيّة وغاليّة، الخ. وقد استعمل الأرثوذكس والأقباط الشكل الليتورجي الإسكندري، كما استعمل اليعاقبة الشكل الأنطاكي، الخ.

وإننا نميّز في هذه الأشكال عائلتين كبيرتين:

١- الأشكال الليتورجية الشرقية: وهي الأشكال الليتورجية التي نمت في الشرق، وتشمل عائلتين: العائلة الإسكندرية والعائلة الأنطاكية، ومنها: الشكل الأنطاكي، الأورشليمي، البيزنطي، الماروني، الخ.

٢- الأشكال الليتورجية الغربية: وهي الأشكال الليتورجية التي عرفها الغرب المسيحي مثل الشكل الروماني والأمبروسي وغيرها.

إنّ وجود هذه الأشكال المتنوّعة لإتمام سر الشكر أي الإفخارستيا لا يعني وجود أشكال تختلف في الجوهر عن بعضها بعضًا، إذ نجد فيها وحدةً ليتورجية في تنوّع.

فطقس المعمودية مثلاً في كل هذه الأشكال يحتوي على الخطوط الأساسية ذاتها أي جحد الشيطان ورفضه، وموافقة المسيح، والإقرار الإيماني به، وكذلك التغطيس الثلاثي، والدهن بالميرون مباشرة بعد المعمودية، وكذلك الإشتراك في الإفخارستيا وتناول القرابين الإلهية.

وكذلك الإفخارستيا في تنوّعها تحتوي على العناصر ذاتها أي التسابيح، والدخول بالكتب المقدسة، القراءات الكتابية، العظة، طلبات، تقديم القرابين، الأنافورا، المناولة والشكر.

ولكن يبقى لكل شكل من هذه الأشكال ميزته الخاصة من حيث:

١- الصياغة الأدبية.

٢- الطول أو القصر.

٣- اللون المحلي إذ إنه تأثّر بعناصر خاصة بالمنطقة التي يُقام فيها. فنجد بعض الخصائص المحلية كذكر نهر النيل في الشكل الإسكندري على سبيل المثال.

٤- تقديم أو تأخير بعض العناصر الليتورجية: فالذيبتخا تأتي قبل تقديس القرابين في الشكل الإسكندري، بينما هي تلي التقديس في الشكل الأنطاكي. وكذلك كسر الخبز يأتي قبل الصلاة الربية في الشكل الإسكندري ثم صار لاحقًا بعدها بتأثير سوري وهكذا.

ثانيًا – قداس القديس باسيليوس الكبير

ينتمي قداس القديس باسيليوس الكبير إلى الشكل الليتورجي المعروف بالبيزنطي، ولهذا سنتكلّم قليلاً على هذا الشكل.

١- الشكل الليتورجي البيزنطي

إن المناطق القديمة للتقليد الكنسي البيزنطي هي ثراكي وآسية الصغرى. وكانت عاصمة الإمبراطورية ملتقى تيارات ليتورجية مختلفة متأتّية من أنطاكية وبلاد البنط وكبادوكية. فأثناء تشكّل هذه الأشكال الليتورجية، جلس على كرسي البطريركية في القسطنطينية بطاركة من أنطاكية مثل إفذوكسيوس Εὐδόξιος وإفاغريوس والذهبي الفم ونسطوريوس، وكذلك من كابادوكية نظير غريغوريوس اللاهوتي ونكتاريوس. وكان لمثل هؤلاء دور أساسي بلا شك في تطور الأشكال الليتورجية في القسطنطينية. كما أن نمط الحياة في البلاط الملكي قد أثّر أيضًا على العبادة في القسطنطينية.

إنّ الشكل الليتورجي البيزنطي قد أخذ أشكاله الليتورجية النهائية، بشكل عام، في حدود القرن الثامن الميلادي، كما يظهر من المخطوط البربنياني Βαρβερινος Κωδιξ ٣٣٦ (وهو أقدم إفخولوجي يعود لهذا الشكل الليتورجي). أمّا الخدم الرهبانية الأورشليمية فقد حلّت مكان الخدم اليومية البيزنطية في مرحلة متأخرة.

وقد كان للعبادة في الشكل البيزنطي لون عقائدي ظاهر، كعقيدة الثالوث الأقدس، والخريستولوجية، وتعليم الكنيسة حول والدة الإله، كما أنّ عقيدة إكرام الأيقونات المقدسة قد تركت آثارًا واضحة في هذا الشكل الليتورجي، الخ.

ومن ثمّ، نتيجة وضع القسطنطينية الكنسي والسياسي من ناحية، والوضع السياسي السيّئ الذي مرّت فيه البطريركيات في الشرق من ناحية أخرى، انتشر هذا الشكل الليتورجي البيزنطي في كل مكان تقريبًا، فقد قبلته الكنائس الأرثوذكسية في الشمال في بلاد البلقان وروسيا وجنوب إيطاليا وأنطاكية والإسكندرية. وأصبح مع الوقت الشكل الليتورجي الوحيد السائد في الكنيسة الأرثوذكسية بكاملها. وقد ترجم إلى كلّ لغات الشعوب الأرثوذكسية كالسلافية والعربية والرومانية والجيورجية، الخ.

يحتوي الشكل الليتورجي البيزنطي على ليتورجيتين:

- الأولى: تحمل اسم القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩).
- الثانية: تحمل اسم القديس يوحنّا الذهبي الفم (٣٥٠-٤٠٧).

وهناك قداس بروجيازميني أيضًا للقديس غريغوريوس الذيالوغوس.

٢- العلاقة بين ليتورجيات الشكل البيزنطي

يعتقد البعض بأنّ ليتورجية القديس يوحنّا الذهبي الفم وليتورجية القديس باسيليوس الكبير وليتورجية القديس يعقوب متأتّية من بعضها البعض. وهذا الرأي نراه حتّى عند الأقدمين. فقد ذكر بروكلس بطريرك القسطنطينية (٤٣٦-٤٤٦) في كتابه **مقالة حول تقليد القداس الإلهي** (Λόγος Περί Παραδόσεως τῆς Θείας Λειτουργίας) بأنّ القديس باسيليوس قد اختصر ليتورجية القديس يعقوب أخي الربّ، وكذلك القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفمّ قد اختصر ليتورجيّة القدّيس باسيليوس. بالطبع إنّ بعض الباحثين يرفضون هذه العلاقة بين الليتورجيّت الثلاث، إذ إنهم لا يرون أيّ ترابط لغويّ بينها.

إنّ ليتورجية القديس باسيليوس الكبير، ذات الشكل البيزنطي، على علاقة وثيقة بالليتورجية الإسكندرية التي تحمل اسم القديس أيضًا. أمّا الرأي بأنّ ليتورجية القديس باسيليوس قد تأتّت من ليتورجية الأنظمة الرسولية فقد تبيّن أنّه غير أكيد.

كانت ليتورجية القديس باسيليوس الكبير تقام كلّ أيام الآحاد والأعياد حتّى القرن الثامن، أمّا ليتورجية الذهبي الفم فقد كانت الليتورجية اليومية. مع الوقت أخذت تسود الليتورجية الثانية (للذهبي الفم) على الأولى وذلك بسبب قصرها وبساطتها. ولكن بالرغم من هذا فقد بقيت ليتورجية القديس باسيليوس هي ليتورجية الآحاد والأعياد الهامة والرئيسية في الدور الليتورجي. وهي اليوم تقام عشر مرّات في السنة (أو اثنتي عشرة مرة) أي في الآحاد الخمسة من الصوم الأربعيني الكبير قبل الفصح وفي الأعياد الكبيرة: الفصح (سبت النور)، والميلاد (البارامون)، والظهور الإلهي (البارامون)، وكذلك يوم الخميس العظيم وأيضًا في

ذكرى القديس باسيليوس (الأول من شهر كانون الثاني). وتقام في بعض الأمكنة في أحد العنصرة ويوم عيد رفع الصليب الكريم (١٤ أيلول).

٣- ليتورجية القديس باسيليوس الكبير

إنها الليتورجية القديمة والرسمية في كنيسة القسطنطينية. وتتميّز بطول أفاشينها (بالمقارنة مع ليتورجية الذهبي الفم)، وجمال لغتها، وعمقها اللاهوتي، وغناها الكتابي، وقوة الفكر فيها ووحدته. ونتيجة لكل هذا، يمكننا أن نعتبرها الأنافورا الأكثر جمالاً بين كل الأنافورات التي نُظمت حتّى يومنا. وإن كل ما لدينا من معطيات داخلية وخارجية تميل إلى تأكيد أصالة هذه الأنافورا: اللهجة، والأفكار، واللغة، وطريقة استعمال الكتاب المقدّس، إذا ما قارنّاها بمؤلفات القديس باسيليوس بشكل عام. كذلك تتوارد الشواهد على تأكيد أصالتها منذ أيام القديس باسيليوس. فقد ذكر القديس غريغوريوس النـــزينـــزي أنّ القديس باسيليوس كتب ليتورجية. وأمّا فافستوس Φαυστος البيزنطي (بدايات القرن الخامس) وبطرس الشمّاس (القرن السادس) فقد عرضا بعض مقاطع منها، أمّا لاونديوس البيزنطي (القرن السادس) والمجمع البنثكتي (٦٩٢ م) ويوحنا الدمشقي (القرن الثامن) فقد جاؤوا على ذكرها، والمجمع السابع المسكوني ذكر مقطعًا كاملاً منها.

وأخيرًا إن كل المخطوطات الليتورجية التي تعود إلى الشكل البيزنطي، ابتداءً من المخطوط البربرنياني، تذكر هذه الليتورجية تحت اسم «باسيليوس الكبير».

ثالثًا – طقس القداس وخصائصه

١- أقسام القداس

القسم التعليمي	
الإفتتاح	
تماجيد وتسابيح	التيبيكا والمكارزمي

	الأنديفونات
الدخول بالكتب المقدسة	
التريصاجيون	
القراءات الكتابية	قراءات هلّلواريون والتبخير
العظة	
إطلاق الموعوظين	الطلبة الإلحاحية طلبة الموعوظين
القسم القرباني	
طلبات المؤمنين	
الدخول بالقرابين	التسبيح الشيروبيمي إفشين التسبيح الشيروبيمي التبخير المزمور الخمسون نقل القرابين
طلبات وإفشين التقدمة (بعد وضع القرابين على المائدة) القبلة قانون الإيمان	
الأنافورا	الإيعاز: لنقف حسنًا الحوار الإفخارستي الإفشين: - تمجيد - تسبيح الظفر - رواية الخلاص: الخلق، السقوط، الفداء (عمل

	التدبير الخلاصي، التجسُّد، الصليب، القيامة) - العشاء السري، كلمات التأسيس - الذكرى - إستدعاء الروح القدس وتقديس القرابين - الذكرانيات: والدة الإله والقديسون الأموات (الذيبتخا) الكنيسة الجامعة الأحياء (الذيبتخا) رئيس الكهنة والذيبتخا الإعلان
	طلبة إفشين أبانا
حني الرؤوس	بركة + إفشين
الرفع والتجزيء والإتحاد والمناولة	إفشين الرفع: «القدسات للقديسين» التجزيء الإتحاد المناولة: الإكليروس ثم الشعب
الشكر	طلبة إفشين
الحل	إفشين وراء المنبر إفشين أمام المذبح الختم

٢- خصائص القداس

الإفتتاح

يبدأ قداس القديس باسيليوس الكبير بإعلان إفتتاحي تمجيدي يبارَك به الثالوث القدوس، كما هو الحال في ليتورجيات الشكل الليتورجي البيزنطي.

تماجيد وتسابيح

أول ما تقوم به الجماعة في اجتماعها الليتورجي، بعد الافتتاح، هو رفع التسابيح والترانيم، فقد عمّ هذا الاستعمال للتسابيح في بداية الاجتماع الإفخارستي في سائر الليتورجيات. وقد عرف الشكل الليتورجي البيزنطي نوعين من الترانيم التي تُستخدم في كل من قداس القديس باسيليوس الكبير وقداس القديس الذهبي الفم، تلي الافتتاح وتسبق الدخول، وهي:

أ- التيبيكا والمكارزمي

تتألف من:

- الطلبة السلامية الكبرى، إفشين الأنديفونا الأولى والإعلان، مزمور ١٠٢ من التيبيكا.
- طلبة صغرى، إفشين الأنديفونا الثانية والإعلان، مزمور ١٤٥ من التيبيكا و«يا كلمة الله الابن الوحيد».
- طلبة صغرى، إفشين الأنديفونا الثالثة والإعلان، المكارزمي (في ملكوتك اذكرنا يارب...، طوبى للمساكين بالروح...) مع القطع الخاصة بها.

ب- الأنديفونات

تتألف من ثلاث مجموعات:

- مجموعة الأنديفونا الأولى: الطلبة السلامية الكبرى، إفشين الأنديفونا الأولى والإعلان، الأنديفونا الأولى (بشفاعات والدة الإله يا مخلص خلصنا) مع استيخوناتها.

- مجموعة الأنديفونا الثانية: طلبة صغرى، إفشين الأنديفونا الثانية والإعلان، الأنديفونا الثانية (خلصنا يا ابن اللّه، يا من قام من بين الأموات، نحن المرتلين لك هلّلوييا) مع استيخوناها و«يا كلمة الله الابن الوحيد».
- مجموعة الأنديفونا الثالثة: طلبة صغرى، إفشين الأنديفونا الثالثة، الأنديفونا الثالثة (طروبارية اليوم أو العيد).

الدخول الصغير

يتم الدخول الصغير عند نهاية الأنديفونا الثالثة حيث يسجد الكاهن أمام المائدة المقدسة ويأخذ الإنجيل المقدس ويرفعه إلى جبهته، ويطوف وراء المائدة المقدسة ويخرج من الباب الشمالي، يتقدَّمه حامل الشمعة، حتى ينتهي إلى أمام الباب الملوكي فيتلو إفشين الدخول ثم يهتف «الحكمة فلنستقم»، ثم يدخل الكاهنُ الهيكلَ من الباب الملوكي ويضع الإنجيل على المائدة المقدسة بينما يرنِّم الجوق ترنيمة الدخول (الإيصوذيكون).

بالطبع، أصل هذا الدخول في الممارسة الليتورجية القديمة كان نقل الكتب المقدسة من «غرفة الأواني المقدسة» (Σκευοφυλάκιον)، التي تكون عادةً إلى الجهة الشمالية من مدخل الكنيسة الغربي، فكانت الكتب المقدسة قديمًا تُحفظ في غرفة خاصة لحفظ الأواني والكتب المقدسة. وكان العمل الأول الذي يقوم به الشمامسة والكهنة، بعد ارتداء ملابسهم الكهنوتية، هو نقل الكتب المقدسة من هذه الغرفة، أي الدخول بها، إلى وسط الكنيسة لاستعمالها للقراءات الكتابية المطلوبة في الإفخارستيا.

التريصاجيون

التريصاجيون، أي التسبيح المثلث التقديس (قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الذي لا يموت، ارحمنا)، يرتّل قبل التلاوات الكتابية. وقد عمّ استعماله في الشكل الليتورجي البيزنطي، وهو يترافق مع تلاوة إفشين خاص من قِبل الكاهن.

القراءات الكتابية

يُتلى في الممارسة الحالية مقطع من أعمال الرسل أو الرسائل، وكذلك مقطع آخر من الأناجيل، يتخلّلهما ترنيم هلّلوييا مع استيخونات من المزامير (الهلّلواريون)، ويترافق بتبخير من الشماس، بينما يتلو الكاهن إفشين ما قبل الإنجيل: «أيُّها السيدُ المحبُّ البشر، أشرق قلوبَنا بنور معرفتك الإلهية الذي لا يضمحلّ، وافتح حَدَقيْ ذهننا لفَهْم تعاليم إنجيلك. ضَعْ فينا خَشية وصاياك المغبوطة، حتى إذا وَطئنا كلَّ الشهوات الجسديَّة، نسلكُ سيرةً روحيَّة، مفكّرين وعاملينَ بكلِّ ما يُرضيك. لأنّك أنتَ استنارةُ نفوسنا وأجسادنا أيُّها المسيح الإله، وإليك نرفعُ المجدَ مع أبيك الذي لا بَدْءَ له وروحك الكليِّ قدسُه، الآن وكلَّ أوانٍ وإلى دهر الدَّاهرين، آمين».

تشكّل المقاطع الكتابية جزءًا أساسيًّا من خدمة القداس الإلهي، فإنّ كلمة الله تحتلُّ مركزًا هامًّا في الاجتماع الإفخارستي، فكان المؤمنون منذ السنوات الأولى في اجتماعاتهم يتلون مقاطعَ من الكتب المقدسة ثم من رسائل الرسل والأناجيل كونهم يتوقون إلى سماع الكلمة الإلهية والوصايا لاقتنائها وفهمها والعيش بموجبها، فالكتاب المقدس هو كلمة الله المحيية للإنسان.

عرفت الأشكال الليتورجية القديمة تلاوة أربعة مقاطع كتابية في الخدمة الإفخارستية، اثنان من العهد القديم: التوراة والأنبياء، واثنان من العهد الجديد: الرسائل والأناجيل. وهناك الشكل الأنطاكي (ليتورجية كليمندس) الذي عرف تلاوة خمسة مقاطع. ولكن مع مرور الوقت اكتفي بمقطعين فقط من العهد الجديد كما ذكرنا أعلاه.

لقد تمَّ تقسيم العهد الجديد إلى تلاوات تغطي الخدم الإلهية على مدار السنة الطقسية حيث نجد الحلقة الأولى التي تبدأ بالفصح وتنتهي بأحد جميع القديسين الذي يلي العنصرة، والحلقة الثانية وهي الفسحة التي تقع بعد هذا الأحد وحتى بدء التريودي، والحلقة الثالثة وهي فترة التريودي التي تبدأ بأحد الفريسي والعشار وتنتهي بسبت النور العظيم قبل الفصح المجيد. وقد قسّمت الأناجيل والرسائل (مع

أعمال الرسل) على هذه الدورة السنوية بشكل تتناسب والتذكارات الليتورجية على مدار السنة الطقسية، هذا بالإضافة إلى الدور الآخر الذي هو الأعياد الشهرية التي تخصّ السيد ووالدة الإله والقديسين، حيث خُصِّص لكل مناسبة المقاطع الخاصة بها.

العظة

تشكّل العظة محطة أساسية في الخدمة الإفخارستية حيث تُفسَّر فيها الكتب المقدسة أو يقال كلام تعزية للمؤمنين بعد تلاوة المقاطع الكتابية. ونجد في بعض المصادر القديمة مثل الرحّالة إيثريا التي تذكر أنه كان يتم في أورشليم في تلك الأيام (نهايات القرن الرابع، أيام القديس كيرلس الأورشليمي) عدّة عظات من قِبل الكهنة يختمها الأسقف بكلمة أخيرة خاصة به. وهذا يدلّ على أهمية التعليم أثناء الخدمة الإفخارستية.

إطلاق الموعوظين

يتمُّ إطلاق الموعوظين بعد العظة، حيث يشتركون حتى هذه المرحلة في الخدمة الإفخارستية، التي سُمِّيت بالقسم التعليمي من القداس، فيشارك الموعوظون المؤمنين في التسابيح وسماع كلمة الله والتعليم ثم ينصرفون كونهم لا يستطيعون متابعة القسم الأسراري من الخدمة والإشتراك في القرابين الكريمة.

تُقال أولاً طلبات ابتهالية تُعرَف بالطلبة الإلحاحية حيث يُردَّد على كل طلبة منها يا رب ارحم ثلاثاً، يلي ذلك طلبة خاصة بالموعوظين مع إفشين خاص بهم يدعو فيه الكاهن الرب أن يجعلهم «أعضاء كريمة لكنيسته المقدسة» وأن «يؤهلّهم لحميم الولادة الجديدة، ولغفران الخطايا، ولسربال عدم الفساد، ليعرفوه هو الإله الحقيقي». بعد ذلك يتم صرف الموعوظين.

الدخول الكبير

يتمُّ في هذه المرحلة من القداس نقل القرابين المقدَّمة ووضعها على المائدة المقدسة لتقديسها، وهي بداية القسم القرباني أو الأسراري منه. تُرفع أولاً ابتهالات

من أجل المؤمنين ثم يرتّم الشعب التسبيح الشيروبيمي: «أيُّها الممثِّلون الشيروبيم سريًّا، والمرتّمونَ التسبيح المثلَّث تقديسهُ للثالوث المحيي، لنطرح عنَّا الآن كلَّ اهتمام دنيوي، إذ أنَّنا مزمعون على أن نستقبلَ ملك الكل محفوفًا من المراتب السماوية بحال غير منظور هلّلويا (ثلاثًا)». أثناء ذلك يتلو الكاهن إفشينًا من أجل نفسه يطلب فيه أن يقوِّيه الرب لإتمام هذه الخدمة: «فإليك إذًا أتضرّعُ، أيُّها الصالح والسميع الحسن وحدك، أُنظر إليَّ أنا عبدَكَ الخاطئ والبطَّال، وطهِّر نفسي وقلبي من كلِّ نيَّة شريرة، واجعلني كفوءًا بقوة روحك القدُّوس، إذ أنا لابسٌ نعمة الكهنوت، أن أقف لدى مائدتك هذه المقدَّسة وأخدم جسدك المقدَّس الطاهر ودمك الكريم».

في نهاية هذه الصلاة يبخّر الكاهن الكنيسة والشعب، بينما يقول في نفسه المزمور الخمسين، ثم يستغفر الشعب ويذهب إلى المذبح ويأخذ القرابين (الكأس والصينية) ويطوف بها في الكنيسة وسط الشعب وينقلها إلى المائدة المقدسة ويضعها عليها، وهذا ما يُعرف بـِ «الدخول الكبير».

بالطبع، إنَّ أصل هذا الدخول الكبير هو أن المؤمنين كانوا يضعون تقدماتهم في غرفة خاصة، تُعرَف بـِ«غرفة الخدمة» (غرفة الشمامسة Διακονικόν)، وتكون عادة عند مدخل الكنيسة الغربي مقابل «غرفة الأواني المقدسة»، وكان الشمامسة في البدء (ثم الكهنة في مرحلة لاحقة) يختارون من هذه التقدمات ما هو لازم لخدمة الإفخارستيا من الخبز والخمر وينقلونها، في هذه الأثناء، إلى الهيكل وتوضع على المائدة المقدسة. لكن، في مرحلة لاحقة (حوالى القرن الثامن) ظهرت ممارسة جديدة، فصارت توضع التقدمات في الهيكل ذاته، وهكذا شيئًا فشيئًا لم تعُد تُبنى هذه الغرفة في الكنائس الجديدة حيث اعتُمد ما يُعرف بـِ «المذبح»، وهو عبارة عن طاولة داخل الهيكل في الجهة اليسرى من المائدة المقدسة تُهيَّأ عليه القرابين المقدَّمة. وبالتالي، أخذ نقل القرابين شكلاً جديدًا، فصارت تُؤخذ القرابين من على المذبح (حيث تُهيَّأ) داخل الهيكل ويُطاف بها في الكنيسة وتُوضع على المائدة المقدسة في الهيكل من جديد.

كان هذا الدخول، أي نقل القرابين، يتمُّ بصمت من قبل الشمامسة في أثناء ترنيم التسبيح الشيروبيمي، ثم أخذ يترافق ببعض الذكرانيات حتى أخذ الممارسة الحالية حيث يُذكر المؤمنون: «جميعكم يذكر الرب الإله في ملكوته كل حين، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين»، ثم يذكر الكاهن الأحياء والأموات.

طلبات، إفشين التقدمة، القبلة، قانون الإيمان

بعد وضع القرابين على المائدة تتمّ طلبة ابتهالية، ثم يتلو الكاهن إفشين التقدمة سائلاً الله أن يؤهلنا لنكون «خدّامًا لعهده الجديد، مكمّلين أسراره المقدسة»، وأن يتطلّع علينا ويقبل تقدمتنا.

يلي ذلك ما يُعرف بـــ القبلة، حيث كان المؤمنون يقبّلون بعضهم بعضًا بقبلة السلام: «لنحب بعضنا بعضًا لكي بعزم واحد نعترف مقرّين». أما الممارسة الحالية فقد حصرت ذلك على الإكليروس فقط.

بعد ذلك يُتلى قانون الإيمان: «أومن بإله واحد...». وقد دخل قانون الإيمان إلى طقس الإفخارستيا سنة ٤٧٦م نتيجة الجدالات العقائدية في تلك الفترة.

إن المصاحة (القبلة) والإيمان الواحد (قانون الإيمان) يُعتبران شرطًا أساسيًّا لإقامة الإفخارستيا. إذ إننا لا نستطيع تقديم القربان على المذبح إلاّ بروح الغفران والمسامحة بناءً على قول الرب في إنجيل متّى: «إذا كان لأخيك عليك شيءٌ فاذهب واصطلح معه أولاً ثم تعال وقدّم قربانك»، وكذلك لا نستطيع الاشتراك في الكأس الواحدة إلاّ بالإيمان الواحد.

الأنافورا (تقدمة القرابين)

تبدأ الأنافورا بالإيعاز: «لنقف حسنًا، لنقف بخوف، لنصغ، لنقدّم بسلام القربان المقدس»، حيث يُحَثّ المؤمنون للاستعداد لتقديم القرابين. ويستهلّ الكاهن صلاة الأنافورا بالبركة للشعب: «نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله الآب، وشركة الروح القدس لتكن معكم جميعًا». ويجيبه الشعب: «مع روحك»، ثم

يدعوهم كي يرفعوا قلوبهم إلى العلاء «لنضع قلوبنا فوق» ويُعلن الشعب: «هي لنا عند الرب»، فيعلن الكاهن عن شكرنا للرب؛ «ولنشكرنَّ الرب» ويجيب الشعب «حقٌ وواجبٌ». وإنّ هذا التجاوب المتبادل بين الكاهن والشعب في بداية الأنافورا سُمِّي بـــ «الحوار الإفخارستي»، وقد عرفته الأشكال الليتورجية جميعها.

بعد ذلك ينحني الكاهن ويبدأ بالأنافورا التي هي عبارة عن صلاة طويلة وجميلة، يتخلّلها جوابات وترانيم من قبل الشعب، تلخّص عمل الفداء ويتم فيها تقدمة القرابين وتقديسها بالروح القدس. وإن العناصر الأساسية فيها هي التالية:

تمجيد: تبدأ صلاة الأنافورا برفع التمجيد والتسبيح للرب. فلا نستطيع تقديم قرابيننا إلا بالتعبير عن شكرنا للرب وتسبيحنا له: «أيُّها الكائن السيد، الرب الإله، الآب الضابط الكل، المسجود له، إنّه واجبٌ حقًّا، وعدلٌ، ولائقٌ بعظمة جلال قداستك، أن نسبحك ونمدحك ونباركك، ونسجد لك، ونشكرك، ونمجدك أنت الإله الحقيقي وحدك، وأن نقرِّب لك عبادتنا هذه الناطقة، بقلب منسحق وروح متضع، لأنك أنت وهبتنا معرفة حقك. فمن تراه كفوءًا على أن يُحدّث بجبروتك، ويُسمع تسابيحك كلها، أو يذيع جميع معجزاتك في كل حين!».

تسبيح الظفر: دخل نشيد الظفر، وهو تسبيح الملائكة الذي يذكره أشعياء: «قدوسٌ، قدوسٌ، قدوسٌ رب الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان من مجدك، أوصنا في الأعالي، مبارك الآتي باسم الرب، أوصنا في الأعالي»، إلى الاستعمال الليتورجي في الشكل الليتورجي الإسكندري أولاً زمن أوريجنس حوالى ٢٣٠م، ومن هناك انتقل إلى سوريا، ومنها إلى روما، ثم تبنَّتهُ الأشكال الليتورجية الأخرى. فبعد رفع التمجيد للرب تذكر صلاة الأنافورا بأن الملائكة أيضاً تسبّح الرب ويُعلن الكاهن: «بتسبيح الظفر مرنّمين (الملائكة)، هاتفين، وصارخين، وقائلين»، ويرنّم الشعب نشيد الظفر.

رواية الخلاص: تلخّص أنافورا القديس باسيليوس عمل التدبير الخلاصي بطريقة موجزة وأدبية رائعة. فبعد أن تذكر كيف أن الله خلق الإنسان قد أكرمه

بصورته، لكن الإنسان عصى خالقه وانقاد لإغواء الحية، فأُميت بزلاّته وسقط من نعيم الفردوس، لكن الله لم يُعرض عن جبلته التي صنعها ولم ينسَ عمل يديه، بل افتقده على أنواع كثيرة، فأرسل الأنبياء وصنع المعجزات وأعطانا ناموسًا يُعيننا. ولمّا حان كمال الأزمنة كلّمنا بابنه نفسه، وتجسّد من البتول، «صائرًا بالجسد شريكًا لنا في حقارتنا ليجعلنا شركاءه في مجده». ومن ثمّ قَبِل الصليب، ولكنه قام في اليوم الثالث، وفتح طريق القيامة لكل جسد، ثم صعد إلى السماوات وجلس عن يمين الآب، وهو سيأتي أيضًا ليجازي كل واحد بحسب أعماله (راجع الملحق: صلاة الأنافورا). فنرى في هذا المقطع من الأنافورا لاهوت الخلق والسقوط والفداء مرورًا بالتجسّد والصليب والقيامة مشدودة حتى المجيء الثاني.

كلمات التأسيس: تؤكّد أنافورا القديس باسيليوس في روايتها لعمل التدبير الخلاصي على حَدَث العشاء السري، فتذكر كيف أن السيد، «لـــمّا أزمع أن يذهب إلى موته الاختياري المجيد المحيي، في الليلة التي أَسلَم فيها ذاته لأجل حياة العالم، وأخذ خبزًا بيديه المقدّستين الطاهرتين»، حيث تذكّرنا كيف أسّس الرب سر الشكر. ثم تذكر كلمات التأسيس هذه. فتتابع: «ورفعه (الخبز) إليك أيُّها الإله الآب وشكر، وبارك، وقدّس، وكسر. أعطى تلاميذه الرسل القديسين قائلاً: خذوا كلوا، هذا هو جسدي، الذي يُكسر من أجلكم، لمغفرة الخطايا». ويقول الشعب: «آمين». ويتابع الكاهن: «وكذلك أخذ الكأس من نتاج الكرمة، ومزج، وشكر، وبارك، وقدّس». ويعلن الكاهن جهارًا: «أعطى تلاميذه الرسل القديسين قائلاً: إشربوا منها كلّكم، هذا هو دمي للعهد الجديد، الذي يُهراق عنكم وعن كثيرين، لمغفرة الخطايا».

الذكرى: بعد كلمات التأسيس، تذكر أنافورا القديس باسيليوس وصية الرب: «هذا اصنعوه لذكري، فإنكم كل مرة تأكلون هذا الخبز وتشربون هذه الكأس، تخبرون بموتي، وتعترفون بقيامتي»، حيث تقول: «فإذ نحن ذاكرون، أيُّها السيد، آلامه الخلاصية، وصليبه المحيي، ودفنه الثلاثي الأيام، وقيامته من بين الأموات، وصعوده إلى السماوت، وجلوسه عن يمينك أيُّها الإله الآب، ومجيئه الثاني المجيد المرهوب». وهذا ما نسميه بـــ الذكرى لأنها تذكر وصية الرب هذه.

إستدعاء الروح القدس وتقديس القرابين: بعد ذكر وصية الرب يتم تقديم القرابين حيث يمسك الكاهن الكأس والصينية بيديه ويرفعهما قائلاً: «التي لك هي مما لك، ونحن نقدِّمها لك عن كل شيء، ومن أجل كل شيء»، فيجيب الشعب مسبِّحًا: «إياك نسبح، إياك نبارك، إياك نشكر يارب، وإليك نطلب يا إلهنا». ثم يتابع الكاهن طالبًا حلول الروح القدس على القرابين لتقديسها: «وإذ وضعنا رسَمي جسد مسيحك ودمه المقدَّسين، نسألك ونطلب إليك، يا قدوس القديسين، أن يَحلَّ بمسرة صلاحك روحُك القدوسُ علينا، وعلى هذه القرابين الموضوعة ويُباركها، ويقدِّسها، ويُظهر»؛ ويُبارك الكاهن الخبز قائلاً: «أما هذا الخبز فجسد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الكريم نفسَهُ، آمين»؛ ويُبارك الكأس قائلاً: «وأما ما في هذه الكأس فدم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الكريم نفسَهُ، آمين»؛ ويُبارك القرابين قائلاً: «المهراق لأجل حياة العالم، آمين، آمين، آمين».

الذكرانيات: يلي تقديس القرابين ذكرانية مطوّلة وجامعة تبدأ بالسيدة والدة الإله الدائمة البتولية مريم والقديسين، ثم يُذكر الراقدون (لوائح الراقدين من الذيبتخا). بعد ذلك تُذكر الكنيسة الجامعة المنتشرة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها، وكل الذين قدّموا القرابين، والذين قُدّمت من أجلهم، والذين يقدِّمون الثمار، والذين يعملون الإحسان، والذين يفتقدون المساكين، وجميع العائشين في البتولية والوَرَع والنسك، والحكام وكل رئاسة وسلطة حتى يلقي في قلوبهم ما هو صالح، لنقضي في ظلّ أمنهم حياة هادئة، والشعب الحاضر والغائبين، والأطفال والأحداث والشيوخ، والمعذبين بالأرواح النجسة، والمسافرين والأرامل واليتامى، والأسرى والمرضى، والذين في أي حزن وشدة وضيق، وجميع الذين أوصونا أن نصلي من أجلهم. ثم يُذكر الأحياء (لوائح الأحياء من الذيبتخا)، وبعد ذلك رئيس الكهنة المحلي، وتُتلى الذيبتخا، وتُختم الذكرانيات بالابتهال: «إفتقدنا يا رب بخيريّتك وتحلَّ لنا برأفاتك الغزيرة. هَبنا الأهويةَ معتدلة ونافعة. جُدْ على الأرض بأمطار هادئة لإنتاج الغلاّت. بارك مدارَ سنة خيريتك. كُفَّ شقاقات الكنائس. أخمد تشامخ الأمم. إقمع سريعًا ثورات البدع بقوة روحك القدوس. إقبلنا جميعًا

في ملكوتك، مُظهرًا إيّانا بني النور وبني النهار. هَبنا سلامك ومحبتك، أيُّها الرب إلهنا، فإنّك قد أعطيتنا كل شيء» (راجع الملحق: صلاة الأنافورا).

الإعلان: تُختم الأنافورا بالبركة: «ولتكن مراحم إلهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح مع جميعكم».

الصلاة الربيّة

منذ فجر المسيحية، إحتلت الصلاة الربيّة مكانة خاصة في حياة المسيحيين ولهذا دخلت إلى الخدمة الإفخارستية. تُقال طلبة أولاً، يليها إفشين نطلب فيه إلى الرب أن «طهّرنا من كل دنس الجسد والروح. وعلّمنا أن نُتمّ القداسة بمخافتكَ. حتى إذا نلنا نصيبًا من قدساتك بشهادةٍ صالحة من ضميرنا، نتّحدُ بجسد مسيحك ودمه المقدسين». ثم يقول الإكليروس والشعب: «أبانا الذي في السماوات»، وتُختم بالإعلان: «لأن لك الملك والقدرة والمجد، أيُّها الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين، آمين».

حني الرؤوس

يُبارك الكاهن الشعب بعد ذلك، فيحنون رؤوسهم، ويتلو الكاهن إفشينًا يطلب فيه البركة والقداسة والقوة للجميع.

الرفع، التجزيء، الإتحاد، المناولة

بعد أن يتلو الكاهن إفشينًا يطلب فيه من الرب أن يناولنا بيده العزيزة جسده الطاهر ودمه الكريم، يأخذ الخبز المقدّس ويرفعه راسمًا به شكل صليب فوق الصينية المقدسة ويقول: «القدسات للقديسين»، ويرنّم الشعب: «قدوسٌ واحدٌ، ربٌ واحدٌ، يسوع المسيح، لمجد الله الآب، آمين». ويجزّئ الكاهن الخبز المقدس في أثناء ذلك إلى أربعة أقسام ويضعها على الصينية المقدسة بشكل صليب، ثم يأخذ الجزء الأعلى ويرسم به شكل صليب فوق الكأس ويضعه فيها مُتّحدًا الجسد الطاهر مع الدم الكريم، ويُضيف بعد ذلك الماء الحار في الكأس. بعد ذلك تتم مناولة الإكليروس أولاً ثم الشعب.

نقل القرابين إلى المذبح والشكر

بعد المناولة يبارك الكاهنُ الشعبَ قائلاً: «خلّص يا الله شعبك وبارك ميراثك»، فيرتل الشعب: «قد نظرنا النور الحقيقي، وأخذنا الروح السماوي، ووجدنا الإيمان الحق، فلنسجد للثالوث غير المنقسم، لأنّه خلّصنا». ثم يضع الكاهن في الكأس أجزاء السيدة والقديسين والأحياء والأموات المذكورين، وبعد أن يبخرها يأخذ الكأس ويلتفت بها نحو الشعب ويقول: «كل حين، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين». ويذهب بالكأس إلى المذبح ويضعها عليه. ثم يرفع الكاهنُ الشكر لله على تناول الأسرار المقدسة قائلاً: «نشكرك أيُّها الرب إلهنا، على تناول أسرارك المقدسة الطاهرة السماوية غير المائتة، التي منحتنا إيّاها إحسانًا وتقديسًا وشفاءً لنفوسنا وأجسادنا. فأنتَ، يا سيد الكل، هَب أن تكون لنا شَركةُ جسد مسيحكَ ودمه المقدسين لإيمان لا يُخزى ومحبة لا رياء فيها، وللامتلاء من الحكمة، ولشفاء النفس والجسد، ولطرد كل عدوٍ، وللعمل بوصاياك، ولجوابٍ مقبولٍ لدى منبرِ مسيحك المرهوب».

الحل

يتمّ حلّ القداس بأن يقول الكاهن الإفشين المعروف بـــ «إفشين وراء المنبر»، حيث يتلوه خارج الهيكل وهو واقف أمام أيقونة السيد، طالبًا أن يحفظنا الرب بتقديسه، وأن يعطينا أن نهذّ ببرّه في كل آن وزمان، وأن يفتقد الجميع، ويريح نفوس الراقدين، وأن يستجيب لجميع الطالبين معونته. ثم يدخل الهيكل ويتلو الإفشين الأخير أمام المذبح قائلاً: «لقد تمّ وانتهى، على قدر طاقتنا، سرُّ تدبيرك، أيُّها المسيحُ إلهنا. فقد حصلنا على تذكار موتك، ونظرنا رسمَ قيامتك، وامتلأنا من حياتك التي لا نهاية لها، وتمتّعنا، بنعيمك الذي لا ينفَذ. فارتض أن نكون كُلُّنا أهلاً له في الدهر الآتي أيضًا، بنعمة أبيك الذي لا بَدءَ له، وروحك القدوس الصالح والمحيي، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين، آمين». بعد ذلك يختُم القداس ويوزّع خبز البركة.

ملحق: صلاة الأنافورا[١]

الكاهن

أيُّها الكائنُ، السيِّدُ، الربُّ الإلهُ، الآبُ الضابطُ الكل، المسجودُ له، إنَّه واجبٌ حقًّا، وعَدْلٌ، ولائقٌ بعَظَمةِ جلالِ قداستِك، أنْ نسبِّحَكَ ونمدحَكَ ونباركَك، ونسجُدَ لك، ونشكُرَك، ونمجِّدَكَ أنتَ الإلهَ الحقيقيَّ وحدَك، وأنْ نقرِّبَ لكَ عبادَتَنا هذه الناطقة، بقلبٍ مُنسحقٍ وروحٍ متَّضع. لأنَّكَ أنتَ وَهَبْتَنا معرفةَ حقِّك. فمَنْ تُراهُ كَفُؤًا أن يُحدِّثَ بجبروتِك، ويُسْمِعَ تسابيحَكَ كلَّها، أو يُذيعَ جميعَ مُعجزاتِكَ في كلِّ حين!

يا سيِّدَ الكل، ربَّ السماءِ والأرض، وكلِّ خليقةٍ منظورةٍ وغيرِ منظورة، الجالسَ على عرشِ المجد، والناظرَ إلى اللُّجج، الأزليَّ، الذي لا يُرى، ولا يُوصف، ولا يُدرَك، ولا يعتريه تحوُّل، أبا ربِّنا يسوعَ المسيح، الإلهِ العظيم مخلِّصِنا ورجائنا، الذي هو صورةٌ لصلاحك، وختمٌ مساوٍ لكَ في الرَّسْمِ مُظْهِرٌ إيَّاكَ في ذاتِهِ أيُّها الآب. هو الكلمةُ الحيُّ، الإلهُ الحقيقي، الحكمةُ التي قبلَ الدُّهور، الحياةُ، التقديسُ، النُّورُ الحقيقي، الذي منه ظهرَ الرُّوحُ القدُس، روحُ الحق، موهبةُ التبنِّي، عربونُ الميراثِ الآتي، باكورةُ الخيراتِ الأبديَّة، القوَّةُ المُحيية، ينبوعُ التقديس، الذي بتأييدِهِ تعبدُكَ كلُّ الخلائقِ الناطقةِ والعقليَّة، وتمجِّدُكَ على الدوام، لأنَّ البرايا كلَّها هي عبيدٌ لك.

فإنَّه إيَّاكَ يُسبِّحُ الملائكة، ورؤساءُ الملائكة، والعروشُ، والسياداتُ، والرِّئاساتُ، والسلاطينُ، والقوَّاتُ، والشيروبيمُ الكثيرو العيون. وقد مَثَلَ حولَكَ السيرافيم، للواحدِ ستَّةُ أجنحةٍ وللآخَرِ ستَّةُ أجنحة، باثنين يسترونَ وجوهَهُم، وباثنين يسترونَ أرجلَهُم، وباثنين يطيرون، ويصرخونَ الواحدُ نحوَ الآخَر، بأفواهٍ لا تصمُتُ، وتماجيدَ لا تنقطع.

---

١ راجع خدمة قداس القديس باسيليوس الكبير في **كتاب خدمة الكهنة**، للأسقف يوحنا يازجي، ص ٢٥١-٣٥٧؛ هنا ص ٢٨٠-٢٩١.

يُرتّم تسبيح الظّفر ثم يتابع الكاهن الإفشين قائلاً:

الكاهن: فمَعَ هذهِ القوّاتِ المغبوطة، أيُّها السيِّدُ المحبُّ البشر، نهتِفُ نحنُ الخطأةَ أيضًا ونقول: قدُّوسٌ أنتَ حقًّا وكليُّ القداسة، وجلالُ قداستِكَ لا قِياسَ له، وبارٌّ أنتَ في جميعِ أعمالِك. لأنَّكَ بعَدْلٍ وحُكمٍ حقٍّ جَلبتَ علينا كلَّ ما جَلبت. فإنَّك، لمَّا جبلتَ الإنسان، بأخذِكَ تراباً مِن الأرضِ وبإكرامِهِ اللّهمَّ بصورتِك، وضعتَهُ في فردوسِ النَّعيم، ووعدتَهُ بحياةٍ خالدة، وبالتمتُّعِ بخيراتٍ أبديَّة، إنْ حفظَ وصاياك. لكنَّه لمَّا عصاكَ أنتَ الإلهَ الحقيقيَّ خالقَه، وَانْقادَ لِغَوَايَةِ الحيَّة، فأُميتَ بزلاَّتِه، نَفَيْتَه، يا الله، بِحُكْمِكَ العادل، منَ الفردوسِ إلى هذا العالم، وأَعَدْتَهُ إلى الأرضِ التي منها أُخذ، مدبِّرًا له الخلاصَ بالولادةِ الجديدة، التي بمسيحِكَ نفسِه. فإنَّكَ لم تُعرِضْ إلى الأبدِ عن جبْلَتِكَ التي صنَعْتَها، أيُّها الصالح، ولَمْ تنسَ عملَ يدَيْك، بَل افتقَدْتَهُ على أنواعٍ كثيرةٍ بأحشاءِ رحمتِك. فأرسلتَ الأنبياء، وصنعتَ المعجزاتِ على أيدي قدِّيسيك، الذينَ أرضَوْكَ جيلاً بعدَ جيل، وكلَّمتَنا بأفواهِ عبيدِكَ الأنبياء، وسبقتَ فبشَّرتَنا بالخلاصِ الآتي. وأعطَيْتَنا ناموسًا يُعينُنا، وأقمتَ ملائكةً يحرُسونَنا.

ولَمَّا حانَ كمالُ الأزمنة، كلَّمْتَنا بابنِكَ نفسِه، الذي بهِ صنعتَ الدُّهور. الذي، وهو ضياءُ مجدِكَ وصورةُ أقنومِكَ وحامِلُ الجميعِ بكلمةِ قدرته، لم يعتدَّ مساواتَهُ لك، أيُّها الإلهُ الآب، اختلاسًا، بل، على كونه إلهًا أزليًّا، شُوهِدَ على الأرض، وخالطَ الناس. وبتجسُّدِهِ من البتولِ القدِّيسة، أخلى ذاتَهُ آخِذًا صورةَ عبد، صائرًا مُشارِكًا لنا في جسدِنا الوضيع، ليجعَلَنا شركاءَه في صورةِ مجدِه. فإنَّه، لَمَّا كانت بالإنسانِ قد دخلتِ الخطيئةُ إلى العالم، وبالخطيئةِ الموت، رَضيَ ابنُكَ الوحيد، الكائنُ في أحضانِك، أيُّها الإلهُ الآب، أن يُولَدَ مِن امرأةٍ هي القدِّيسةُ والدةُ الإلهِ الدائمةُ البتوليَّةِ مريم، وأَنْ يَخضعَ للناموسِ ليَدينَ الخطيئةَ بجسدِه، حتى إنَّ المائتينَ بآدمَ يَحْيَوْنَ في مسيحِكَ نفسِه. وإذْ عاشَ في هذا العالم، وأعطانا أوامرَ الخلاص، أبعدَنا عن ضلالِ الأوثان، وَهَدانا إلى معرفتِك، أيُّها الآبُ الإلهُ الحقيقي، مُقْتَنيًا إيَّانا لذاتِهِ شعبًا خاصًّا، كهنوتًا ملوكيًّا، أمَّةً مقدَّسة. وإذْ طَهَّرَنا بالماءِ وقدَّسَنا بالرُّوحِ القدُس، بذلَ نفسَهُ فِدْيةً للموت، الذي كُنَّا فيهِ مضبوطينَ أرِقَّاءَ للخطيئة. ولَمَّا انحدرَ

بالصليبِ إلى الجحيم، لِيُتمَّ في ذاتِهِ كلَّ شيء، حَلَّ أوجاعَ الموت. وإذْ قامَ في اليومِ الثالث، وفتحَ طريقَ القيامةِ من بينِ الأمواتِ لكلِّ جسد، إذْ لم يكنْ مُمكنًا أن يُضبَطَ مُبدئُ الحياةِ في البلى، صارَ باكورةً للرَّاقدين، وبكرًا من بينِ الأموات، ليكونَ هو نفسُهُ الكلَّ والأوَّلَ في كلِّ شيء. وإذْ صعدَ إلى السماوات، جلسَ عن يمينِ عظمتِكَ في الأعالي. وهو سيأتي أيضًا ليجازيَ كلَّ واحدٍ بحسبِ أعمالِه.

وقد تركَ لنا تذكاراتِ آلامِهِ الخلاصيَّةِ هذه، التي وَضَعْنَاها بحسبِ وصاياه. فإنَّه لَمَّا أزمعَ أنْ يذهبَ إلى موتِهِ الاختياريِّ المجيدِ المُحيي، في اللَّيلةِ التي أَسْلَمَ فيها ذاتَهُ لأجلِ حياةِ العالم، وأخذَ خُبزًا بيدَيْهِ المقدَّستَينِ الطاهرتَين، ورفَعَهُ إليكَ أيُّها الإلهُ الآب، وشكَرَ، وبَارَكَ، وقدَّس، وكسر (ثم كلمات التأسيس ...الخ).

ويقول الكاهن الذكرانيات:

جهارًا: وخاصَّةً من أجلِ الكليَّةِ القداسة، الطاهرة، الفائقةِ البركات، المجيدة، سيِّدَتِنا والدةِ الإلهِ الدائمةِ البتوليَّةِ مريم.

(يرنم الشعب إن البرايا) ويتابع الكاهن الإفشين:

الكاهن: معَ القدِّيسِ النبيِّ السابقِ يوحنَّا المَعْمَدان، والقدِّيسينَ المجيدينَ الرُّسلِ الجديرينَ بكلِّ مديح، والقدِّيسِ (فلان) الذي نُقيمُ تذكارَه اليومَ، وجميعِ قدِّيسيك، الذينَ بطلباتِهِم افتَقِدْنا يا الله.

واذكُرْ جميعَ الذينَ سبقَ رُقادُهُم على رجاءِ قيامةِ الحياةِ الأبديَّةِ (ويذكر الذين يريد ذكرهم بأسمائهم من الراقدين) وأَرِحْهُم حيثُ يُشرقُ نورُ وجهِك.

أيضاً نطلبُ إليكَ، يا ربُّ، أنْ تذكرَ كنيستَكَ المقدَّسةَ الجامعةَ الرسوليَّة، المُنتشرةَ من أقاصي المسكونةِ إلى أقاصيها، التي اقتَنَيْتَها بدمِ مسيحِكَ الكريم، فخوِّلها السلام، وثبِّتْ هذا البيتَ المقدَّسَ إلى انقضاءِ الدَّهر.

أُذكُرْ، يا ربُّ، الذينَ قدَّموا لكَ هذه القرابينَ والذينَ قُدِّمَتْ لأجلِهِم وبواسطتِهِم، والأسبابَ التي قدَّموها لأجلِها. أُذكرْ يا ربُّ الذينَ يقدِّمونَ الثمارَ والذينَ يعملونَ الإحسانَ في كنائسِكَ المقدَّسةِ والذينَ يفتقدونَ المساكين. كافِئْهُم

بمواهبِكَ الغنيَّةِ السماويَّة، وهَبْهُم عِوضَ الأرضيَّاتِ السماويَّات، وعِوضَ الوقتيَّاتِ الأبديَّات، وعِوضَ الفانيات الباقيات. أُذكرْ يا ربُّ الذينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض. أُذكرْ يا ربُّ العائِشينَ في البتوليَّةِ والوَرَعِ والنُّسكِ والسِّيرةِ الحميدة.

أُذكرْ يا ربُّ حكَّامَنا، الذينَ شئتَ أنْ يحكُمُوا على الأرض. كلِّلْهُم بسلاحِ الحق، سلاحِ رُضوانِك. إرفَعْ يمينَهُم وأيِّدْ حُكْمَهم. رُدَّ عنهم هجماتِ الأعداءِ القاصدةِ الحروب. هَبْهُمْ سلامًا وطيدًا لا يُنتزَع. أُغرُسْ في قلوبهم ما هو صالحٌ لأجل كنيستِكَ وكلِّ شعبِك، لِنقضيَ في ظلِّ أمنِهم حياةً هادئةً مُطمئنَّةً بكلِّ تقوى ووَقار. أُذكرْ يا ربُّ كلَّ رئاسةٍ وسُلطة. إحفظِ الصالحينَ بصلاحِك، وأَصْلِحِ الأشرارَ بخَيْرِيَّتِك.

أُذكرْ يا ربُّ الشعبَ الحاضرَ، والغائبينَ مِنهم لأسبابٍ مُستَصْوَبة، وارحَمْهم وإيَّانا بكثرةِ رحمتِك. إملأْ خزائِنَهم من كلِّ خير. إحفظْ زيجاتِهم في سلامٍ ووئام. ربِّ الأطفالَ. هذِّبِ الأحداث. شدِّدِ الشيوخ. عزِّ صغيريِّ النفوس. إجمعِ المتفرِّقين. رُدَّ الضالِّينَ وضُمَّهم إلى كنيستِكَ المقدَّسةِ الجامعةِ الرسوليَّة. أَعتقِ المعذَّبينَ بالأرواحِ النَّجسة. رافقِ المسافرين. إعتنِ بالأرامل. أُعضُد اليتامى. أَنقذِ الأسرى. إشفِ المرضى واذكُرْ يا اللهُ الذينَ في المحاكمِ والمناجمِ والمَنافي والعبوديَّةِ المُرَّة، والذينَ في أيِّ حُزنٍ وشِدَّةٍ وضيق، وجميعَ المُفتقِرينَ إلى تحنُّنِكَ العظيم، والذينَ يُحبُّوننا والذينَ يُبغضوننا، والذينَ أَوْصَوْنا نحنُ غيرَ المستحقِّينَ أن نصلِّيَ مِن أجلِهم. أُذكرْ أيُّها الربُّ إلهُنا شعبَكَ كلَّهُ، وأَسبِغْ على الجميعِ رحمتَكَ الغنيَّة، مانحًا إيَّاهم كلَّ ما يسألونَ للخلاص. أمَّا الذينَ لَمْ نذكرْهُم نحنُ، عن جهلٍ أو عن نسيانٍ أو لِكَثْرةِ الأسماء، فاذكُرْهُم أنتَ، يا الله، العالِمُ بسنِّ كلِّ واحدٍ واسمِه، والعارفُ كلَّ واحدٍ من جوفِ أُمِّه.

فإنَّكَ أنتَ يا ربُّ عونُ الذينَ لا عونَ لهم ورجاءُ اليائسين، ومخلِّصُ الذينَ تكُدُّهم الأنواء، وميناءُ المسافرينَ في البحر، وطبيبُ المرضى. فكُنْ أنتَ كلاًّ للكل. أيُّها العالِمُ بِكلِّ واحدٍ وبُغيتِه، وبكلِّ بيتٍ وحاجتِه. نجِّ يا ربُّ، هذهِ المدينةَ (أو هذا الدير المقدَّس)، وكلَّ مدينةٍ وقرية، من المجاعةِ، والوباءِ، والزلزلةِ، والطوفانِ، والنَّارِ،

والسَّيفِ، وغاراتِ الغرباء، والحربِ الأهليَّة (ويذكر الأحياء الذين يريد ذكرهم بأسمائهم).

جهارًا: أُذكرْ يا ربُّ أوَّلاً أبانا ورئيسَ كهنتِنا (فلان) وهَبْهُ لكنائِسِكَ المقدَّسةِ بسلام، صحيحًا، مُكرَّمًا، مُعافَى، مديدَ الأيَّام، مفصِّلاً باستقامةٍ كلمةَ حقِّك.

الشماس (يقرأ الذيبتخا وفي نهايتها يقول):

والخاطرينَ في فكرِ كلِّ واحدٍ من الحاضرين، جميعَهم وجميعَهنَّ.

الشعب: جميعَهم وجميعَهنَّ.

ويتابع الكاهن الإفشين قائلاً:

الكاهن: أُذكرْ يا ربُّ جميعَ الأساقفةِ المستقيميِّ الرأي، المُفصِّلينَ كلمةَ حقِّكَ باستقامة. أُذكرني، يا ربُّ، بكثرةِ رَأفاتِك أنا أيضًا غيرَ المستحقّ، واغفِرْ لي كلَّ خطيئةٍ طَوعيَّةٍ وكُرهيَّة. ولا تَمنعْ بسببِ خطاياي نعمةَ روحِكَ القدُّوسِ عن هذهِ القرابين الموضوعة. أُذكرْ يا ربُّ الكهنة، والشمامسةَ الخدَّامَ بالمسيح، وكلَّ طُغْمةٍ كهنوتيَّةٍ ورهبانيَّة. ولا تُخزِ أحدًا منَّا نحن المُحيطينَ بمذبحِكَ المقدَّس.

إفتقدْنا يا ربُّ بخَيْريَّتِكَ وتجلَّ لنا برَأفاتِكَ الغزيرة. هَبْنَا الأهويةَ مُعتدِلةً ونافعة. جُدْ على الأرضِ بأمطارٍ هادئةٍ لإنتاجِ الغلاَّت. بارِكْ مدارَ سنةِ خَيْريَّتِك. كُفَّ شقاقاتِ الكنائس. أخمِدْ تشامخَ الأُمم. إقمَعْ سريعًا ثوراتِ البِدَعِ بقوَّةِ روحِكَ القدُّوسِ. إقبَلْنا جميعًا في ملكوتِكَ مُظهرًا إيَّانا بَني النُّورِ وبَني النَّهار. هَبْنَا سلامَكَ ومحبَّتَك، أيُّها الربُّ إلهُنا، فإنَّك قد أعطَيْتَنا كلَّ شيء.

جهارًا: وأعطنا أنْ نمجِّدَ ونسبِّحَ بفمٍ واحدٍ وقلبٍ واحد، اسمَكَ الكُليَّ الإكرامِ والعظيمَ الجلال، أيُّها الآبُ والابنُ والرُّوحُ القدُس، الآنَ وكلَّ أوانٍ وإلى دهرِ الدَّاهرين.

الشعب: آمين.

يختم الكاهن الأنافورا مباركًا الشعب:

جهارًا: ولتكُنْ مراحمُ إلهِنا العظيمِ ومخلِّصِنا يسوعَ المسيحِ معَ جميعِكم.